

الأداء العسكري للمقاومة الفلسطينية خلال معركة سيف القدس

اسماعيل محمد حسين فارس*

ملخص: هدفت هذه الورقة إلى التعرف على الأداء العسكري للمقاومة الفلسطينية خلال معركة سيف القدس (مايو 2021)، وذلك من خلال دراسة بيانات فصائل المقاومة الفلسطينية، وقد ركّز الباحث على دراسة بلاغات وبيانات كتاب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وسرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي؛ كونهما الفاعلان الرئيسيان في المعركة، وقد اعتمد الباحث على تحليل أثر الفعل المقاوم من خلال دراسة العديد من الأبحاث والأخبار التي نشرتها مواقع ومراكز دراسات تابعة للاحتلال. تنتمي هذه الورقة إلى البحوث الوصفية التحليلية، فقد عمد الباحث إلى استقراء الأداء العسكري للمقاومة الفلسطينية خلال المعركة؛ بتحليل البلاغات العسكرية للمقاومة الفلسطينية، في مسعى لتحديد الخطوط الأساسية التي ميّزت أداء المقاومة العسكري خلال المعركة. وقد خلّصت الورقة إلى أنّ المقاومة أخذت زمام المبادرة، ووجهت ضربة البداية، واستطاعت أن تحافظ على زخم ناري هو الأعلى في تاريخ المواجهة مع الاحتلال، وأفشلت مخططاته من خلال استخبارات فعّالة، وامتازت بقدره عالية على القيادة والسيطرة، رغم كثافة نيران الاحتلال وإجرامه.

الكلمات المفتاحية: المقاومة الفلسطينية، سيف القدس، فلسطين، قطاع غزة.

The Military Performance of the Palestinian Resistance during the Battle of Saif al-Quds

ABSTRACT: This paper aims to identify the military performance of the Palestinian resistance during the Battle of the Saif al-Quds (May 2021). The research focused on studying the reports and statements of the main actors in the battle; Hamas' Izz al-Din al-Qassam Brigades and Islamic Jihad's Al-Quds brigades. Relying on analysing the impact of the resistance by examining different publications; research papers, news articles and study centres affiliated with the occupation. The research applied a descriptive analytical method in which the researcher deliberately extrapolated the military performance of the Palestinian resistance during the battle by analysing the military statements of the Palestinian resistance in an effort to identify the basic lines that characterised the military performance of the resistance during the battle. The paper concluded that the resistance took the initiative, directed the opening blow, and was able to maintain the highest fiery momentum in the history of the confrontation with the occupation, thwarted its schemes through effective intelligence, and was characterised by its high ability to command and control the battle despite the intensive fiery of the occupation.

KEYWORDS: Palestinian resistance, Sword of al-Quds, Palestine, Gaza.

مقدمة

كان الأداء العسكري للمقاومة الفلسطينية في المعركة التي أطلقت عليها المقاومة الفلسطينية اسم "سيف القدس" وذلك في مايو 2021 نتيجة تراكمية لسلسلة من الأحداث والمجريات السياسية والعسكرية التي سبقت المعركة بسنوات؛ لذلك لا بدّ قبل البدء باستعراض أداء المقاومة العسكري في معركة "سيف القدس" من الوقوف على حدثين تأسيسيين، هما:

1. تحرير قطاع غزة (سبتمبر 2005): مثل تحرير قطاع غزة في 12 سبتمبر عام 2005، وإنهاء وجود الاحتلال فيه -الذي استمر أكثر من 59 سنة- بارقة أمل ودليلاً على أنّ مقاومة الشعب الفلسطيني قادرة على تحقيق إنجازات كبيرة، وتسبب في نشوء واقع جديد مكّن المقاومة من مراكمة قوّتها وتعزيزها، على صعيد التدريب والحصول على الأسلحة من الخارج، وتطوير التصنيع المحلي.
2. سيطرة حماس على قطاع غزة (يونيو 2007): استطاعت المقاومة بعد سيطرة حركة المقاومة الإسلامية- حماس على قطاع غزة بناء جيش شبه نظامي، يزوج بين أداء حرب العصابات في مواجهة الجيوش التقليدية، وبين البناء الهرمي المؤسسي للجيش النظامي، إضافة إلى تعزيز بناء قوتها على جميع الأصعدة، إلا أنّ مسار بناء القوة العسكرية تعرض لمحاولات كبح عديدة من الاحتلال، تمثّلت ذروتها في الحرب الأولى على القطاع عام 2008-2009، التي أراد الاحتلال منها إنهاء سيطرة المقاومة على القطاع، وتحرير الجندي الصهيوني جلعاد شاليط، الأسير لدى كتائب القسام، إلا أنّ صمود المقاومة وحاضنتها الشعبية منع الاحتلال من تحقيق أهدافه.

شكلت "معركة الفرقان" عام 2009/2008 حدثاً فارقاً في تاريخ كتائب القسام والمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، حيث أسهم عدوان الاحتلال في بناء قناعات ومنطلقات جديدة لدى المقاومة، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يتعرض فيها القطاع لحرب شاملة؛ الأمر الذي دفع المقاومة إلى تبني نمط جديد في بناء القوة ومراكمتها، بحيث تكون قادرة على التعامل مع هذا المستوى المرتفع من المواجهة، وتستطيع في الوقت نفسه الاستمرار في مشروعها المقاوم الذي يهدف إلى تحرير الأرض والإنسان. وقد كتب "عاموس يدلين" مدير مركز دراسات الأمن القومي "الإسرائيلي": "حماس مؤسسة تعليمية، تدرس خبراتها في المعركة، وتطور الدروس، ومن ثم تقوم بتضمينها في كل من عقيدتها القتالية، وقواتها، وعملياتها".¹

وقد أثبتت المواجهة العسكرية التي حاضتها المقاومة الفلسطينية في نوفمبر عام 2012، عقب اغتيال القائد البارز في كتائب القسام أحمد الجعبري، أنّها تعمل وفق منهجية محددة وتتعلم من تجاربها. حيث نجحت خلال تلك المواجهة -ولأول مرة- في قصف "تل أبيب" بصاروخ محلي الصنع، أطلقت عليه اسم "M75"؛ تيمناً بالشهيد المفكر "إبراهيم المقادمة"، بالإضافة إلى استخدامها لأول مرة صواريخ

"فجر5" الإيرانية، في خطوة مثّلت قفزة نوعية؛ كونها كانت المرة الأولى التي تُقصف فيها "تل أبيب" بالصواريخ منذ حرب الخليج الأولى في تسعينيات القرن الماضي.² لكنّ المواجهة التي اندلعت في يوليو 2014، كانت الأشد والأكبر تأثيراً، فقد كانت المواجهة البرية الأوسع بين المقاومة وجيش الاحتلال، حيث شهدت الحرب هجوماً برياً شاملاً من جيش الاحتلال على طول حدود قطاع غزة. واجهته المقاومة من خلال الالتحام المباشر، ونجحت في كسر إرادة جيش الاحتلال بالقتال البري المباشر؛ الأمر الذي دفع الاحتلال إلى إقرار تغييرات جوهرية في عقيدته العسكرية بإضافة مركّب الدفاع إلى مبادئ عقيدته العسكرية،³ والتركيز على تشديد الحصار على قطاع غزة، ومحاربة خطوط الإمداد في أعالي البحار بالتعاون مع بعض الأنظمة في الإقليم،⁴ بالإضافة إلى انتهاج استراتيجية "المعركة بين الحروب"، التي تهدف إلى التأثير على مسارات مراكمة وتطوير المقاومة لقدراتها.

المبحث الأول: سباقات معركة "سيف القدس"

خلال السنوات التي سبقت معركة "سيف القدس"، حاول الاحتلال استنزاف المقاومة في قطاع غزة، من خلال تشتيت جهودها، وحصرها في التعامل مع سلسلة من الأزمات المركّبة التي اصطفتها الاحتلال بحصاره للقطاع، إلا أنّ المقاومة كانت لديها أهداف واضحة تتعلق بالقيم الوطنية العليا؛ لذلك عملت -وفق إمكاناتها- على تجاوز محاولات الاحتلال ترسيخ الفصل السياسي، والاستفراد بالأراضي الفلسطينية كلّ على حدة. بدا واضحاً توجه المقاومة لوقف تجاوزات الاحتلال عندما اعتبر الناطق باسم القسام "أبو عبيدة" في يونيو 2020 أنّ إعلان ضمّ الضفة الغربية سيكون بمثابة "إعلان حرب"؛⁵ الأمر الذي دفع الاحتلال في حينه للتراجع عنه بصيغته الشاملة والفجة، ليمثّل تهديد القسام تديناً لاستراتيجية ربط الساحات في مواجهة استراتيجية الاحتلال بتحقيق الفصل السياسي. هذا التوجه كان يمكن الاستدلال عليه أيضاً من تحركات وتصريحات المقاومة، وقد أصبح معلومة مؤكّدة بعد نشر كتائب القسام لمحضر اجتماع هيئة أركانها، الذي ضمّ بنداً واضحاً يقضي بإدخال القدس ضمن قواعد الاشتباك، وتجهيز مهمات وعمليات من شأنها التأثير، وردع الاحتلال عن اعتداءاته السفارة في القدس والأقصى.⁶

تسلسل الأحداث وصولاً للحرب

شهدت الفترة التي سبقت معركة "سيف القدس" تصاعداً لعدوان الاحتلال على المدينة المقدسة، شمل زيادة اقتحامات المستوطنين للمسجد الأقصى، ومحاوله منع الشبان المقدسيين من التواجد في ساحة باب العمود، كما جرت العادة في شهر رمضان المبارك في أعقاب صلاة التراويح، وهو المكان الذي كان متنفس المدينة المقدسة في الليالي الرمضانية؛ الأمر الذي تسبب باندلاع مواجهات عنيفة على مدار أيام

عدّة، كما تزايدت قيود الاحتلال على المصلين في المسجد الأقصى خلال رمضان، وهاجم مستوطنون منازل المواطنين في حي الشيخ جراح مع إصدار محكمة تابعة للاحتلال، مهلة لسكان الحي بإخلاء منازلهم لصالح المستوطنين، واستمرت اعتداءات الاحتلال في المسجد الأقصى والشيخ جراح، ووصلت إلى منع الأذان في عدد من مآذن المسجد الأقصى.⁷

وأمام استمرار جرائم الاحتلال، أصدرت كتائب القسام في 4 مايو 2021 تصريحاً موقعاً باسم قائد الأركان محمد الضيف، حذّر فيه الاحتلال بدفع ثمن غالٍ في حال عدم إيقافه العدوان على أهالي القدس والشيخ جراح،⁸ تلاه يومين تصريح للناطق باسم سرايا القدس "أبو حمزة" أكد فيه أنّ المقاومة لن تسمح باستمرار العدوان.⁹ وفي صباح العاشر من مايو، هاجمت شرطة الاحتلال المسجد الأقصى في مسعى لتفريغ المسجد المبارك من المعتكفين تمهيداً لاقتحام المستوطنين؛ الأمر الذي أسفر عن إصابة أكثر من 300 من المعتكفين.¹⁰ بالإضافة إلى مهاجمة مئات المستوطنين فجر اليوم نفسه حي الشيخ جراح، وأمام تصاعد الإحرام أعلنت قيادة المقاومة في قطاع غزة "الغرفة المشتركة" مساء يوم الإثنين الموافق 2021/5/10، منحها الاحتلال مهلة حتى الساعة السادسة مساءً؛ لسحب جنوده ومستوطنيه من المسجد الأقصى المبارك وحي الشيخ جراح، والإفراج عن جميع المعتقلين خلال هبة القدس الأخيرة.¹¹

المبحث الثاني: أداء المقاومة العسكري في معركة سيف القدس

افتتحت المقاومة في تمام الساعة السادسة من مساء 10 مايو 2021، معركة "سيف القدس" بإطلاق رشقة صاروخية تجاه مستوطنات الاحتلال في مدينة القدس المحتلة، واستهداف جيب عسكري تابع للاحتلال بصاروخ موجه شرق بيت حانون شمال قطاع غزة، وخاضت معركة استمرّت أحد عشر يوماً، انتهت بحلول الساعة الثانية من فجر يوم الجمعة 21 مايو 2021.¹² نجحت المقاومة في غزة خلال معاركها السابقة مع جيش الاحتلال في تحطيم العديد من منطلقات مبادئه واستراتيجياته العسكرية، أبرزها استراتيجية القتال بعيداً عن العمق الحيوي، أو ما يطلق عليه مبدأ "نقل المعركة إلى أرض العدو"، وأصبحت الجبهة الداخلية للعدو الصهيوني خلال هذه المواجهات ضمن دائرة الاشتباك المباشرة.

تخصصات وتشكيلات المقاومة التي عملت خلال معركة سيف القدس

أولاً: سلاح المدفعية لدى المقاومة الفلسطينية

تعدّ المدفعية إحدى صنوف الأسلحة الأساسية للقوات العسكرية، وتمتاز بالقدرة النارية الكبيرة التي تمكّنها من توفير نيران كثيفة؛ ما يؤهلها للقيام بالعديد من المهمات العسكرية، لعل أبرزها في حالة المقاومة الفلسطينية تأمين الدعم الناري لقوات المشاة، وإعطاء عمق للقتال من خلال استهداف جبهة

العدو الداخلية. غلب على معركة سيف القدس سمة تبادل القصف والنيران البعيدة، وكان جُلُّ الأداء العسكري للمقاومة يتعلق بإدارة النيران وتنسيقها؛ بما يحقق أهداف المعركة والتوجهات العامة للقيادة المقاومة، ويمكن استقراء هذا الأداء من خلال مراجعة المهمات التي أعلنت عنها فصائل المقاومة، وتحليل البيانات العسكرية التي صدرت عنها خلال المعركة، حيث اتبعت المقاومة التكتيكات التالية:

1. الإنذار المسبق مع إخفاء تفاصيل العمل العسكري

يُعدُّ مبدأ المفاجأة من أهم مبادئ الحرب التي تتضمن نجاح العمليات العسكرية التقليدية، وهو في حالة حركات المقاومة أكثر أهمية، خاصة أنّ العدو في هذه الحالة جيش نظامي يتمتع بقدرات استخبارية عالية تمكّنه من إحباط أي هجوم مفاجئ، وقد تمكّنه قدراته الاستخبارية، وقدرته على قراءة نوايا عدوه من القيام بضربات استباقية تحبط المجهود العسكري المبادر، أو تتسبب بأضرار بالغة للمقاومة؛ لذلك شكّل الإنذار الأوّلي -الذي أصدرته المقاومة موقعاً باسم القائد العام لكتائب القسام محمد الضيف في 4 مايو 2021-،¹³ تحدياً كبيراً للاحتلال وجيشه، وقد زادت وتيرة التحدي مع المهلة الأخيرة التي منحتها قيادة المقاومة للاحتلال حتى الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين 10 مايو 2021،¹⁴ وهي بذلك عيّنت وقتاً محدداً لبدء المعركة، ورغم ذلك فإنّ الاحتلال تفاجأ من أخذ المقاومة بزمام المبادرة، ومن جرأتها باتخاذ القرار، ومن الأهداف التي افتتحت بها المواجهة،¹⁵ ويرجع فشل الاحتلال في قراءة نوايا المقاومة إلى:¹⁶

أ. اعتماد قيادة المقاومة مبدأ المعلومة على قدر الحاجة، حيث اقتصر البلاغ الدقيق بالتفاصيل على التشكيلات السُّنَّاط بما تنفيذ العمل الميداني؛ الأمر الذي حرم الاحتلال من قراءة التحركات الميدانية، وفهم توجهات المقاومة، ومعرفة نواياها.

ب. أنّ الاحتلال لم يتوقع أن تبدأ المقاومة حولة مواجهة في ذروة التحركات في ملف كسر الحصار، حيث شهدت الفترة التي سبقت معركة "سيف القدس" تطورات إيجابية في ملف تخفيف الحصار عن قطاع غزة، لكن المقاومة اعتمدت خطأً واضحاً يقضي بتحطيم محاولات الاحتلال تحقيق الفصل السياسي، وقرّرت الدخول إلى المعركة واضحةً نُصبَ عينها القضايا الوطنية الكبرى.

يمكن للمتتبع لأحداث ومجريات المعركة أن يقرأ بوضوح التباين في طبيعة الأهداف وكثافة النيران التي استخدمتها المقاومة خلال أيام المواجهة، ويمكن تفسير ذلك من خلال استقراء البلاغات العسكرية للمقاومة التي حاولت فرض قواعد اشتباك معيّنة، من شأنها تحقيق أهداف المعركة، وحماية المدنيين.

2. إدارة النار وتنشيط قواعد الاشتباك

افتتحت المقاومة المعركة بضربة صاروخية تجاه المستوطنات في مدينة القدس المحتلة، وقد أُختير الهدف والتوقيت؛ كون المدينة تعرّضت منذ بداية شهر رمضان لجرائم متكرّرة من الاحتلال ومستوطنيه،

وكانت ذروة الأحداث تجمّع آلاف المستوطنين فيما يسمى "مسيرة الأعلام" التي كان من المقرر أن تجوب البلدة القديمة، وقد تصل إلى اقتحام المسجد الأقصى، لكن صوت صافرات الإنذار التي انطلقت مع إطلاق الصواريخ من غزة تسبب بتفرّق مسيرة المستوطنين سريعاً.¹⁷

3. قصف "تل أبيب" ورقة ضغط لفرض قواعد اشتباك جديدة

سعت المقاومة منذ بداية معركة "سيف القدس" إلى الاستفادة من نقاط الضعف لدى الاحتلال في فرض قواعد اشتباك تخدم أهداف المعركة بأفضل طريقة، وفي هذا الإطار وظّفت عملية قصف "تل أبيب" بما تمثله من ثقل سكاني وسياسي واقتصادي وعسكري لفرض بعض قواعد الاشتباك، وهذا الأمر أشار إليه القائد في كتائب القسام "محمد السنوار" بقوله: "تمّ وضع تل أبيب على الطاولة من أول يوم في المعركة"¹⁸، وهو التصريح الذي من خلاله ومن خلال تحليل البلاغات العسكرية للمقاومة يمكن استنتاج القواعد التي حاولت المقاومة فرضها على الاحتلال خلال المعركة، وهي:

- أ. **قصف "تل أبيب" ردّاً على قصف الأبراج السكنية بغزة:** ظهرت مساء اليوم الثاني من المعركة مؤشرات تدل على أنّ الاحتلال ينوي استهداف برج "هنادي" السكني غرب مدينة غزة، وردّاً على ذلك حدّرت المقاومة على لسان الناطق باسم كتائب القسام من أنّ استهداف الأبراج السكنية سيقلبه استهداف "تل أبيب"¹⁹، وما إن قصف الاحتلال البرج حتى ردّت المقاومة باستهداف "تل أبيب" بـ 130 صاروخاً في رشقة واحدة هي الأكبر في تاريخ المواجهة مع الاحتلال.²⁰ وتصاعدت المعركة حول تثبيت قواعد الاشتباك بشكل لافت، فبمجرد قصف الاحتلال برج "الجوهرة" التجاري وسط مدينة غزة بصاروخ من طائرة مسيرة تمهيداً لتدميره بالطائرات الحربية، ردّت كتائب القسام باستهداف بئر السبع المحتلة بـ 100 صاروخ برشقة واحدة، وقصفت "تل أبيب" بـ 110 صاروخ في رشقة واحدة ردّاً على تدمير البرج فجر يوم الأربعاء 2021/5/12، وهو اليوم الثالث من أيام المعركة.²¹ استمرت المقاومة في تثبيت معادلة أنّ تدمير الأبراج السكنية يقابله استهداف مركز الكيان برشقات مكثّفة من الصواريخ؛ لتنجح بعد اليوم الخامس من المعركة في ردع الاحتلال عن استهداف الأبراج السكنية والتجارية، وتثبت بعد معركة شرسة قواعد اشتباك كان من الصعب الحديث عنها سابقاً.
- ب. **استمرار التغوّل على بيوت المدنيين يعني العودة لقصف "تل أبيب":** بعد نجاح المقاومة بتثبيت معادلة قصف "تل أبيب" مقابل استهداف الأبراج السكنية، زادت وتيرة جرائم الاحتلال ضد بيوت المدنيين الأمنين، وبلغت ذروة جرائم الاحتلال بقصف البيوت السكنية في "شارع الوحدة" فجر 17 مايو، وتبع ذلك استهداف عدة شقق سكنية ومنازل، وأمام تغوّل الاحتلال وإجرامه انتقلت المقاومة لمحاولة فرض قواعد جديدة، حيث أصدرت كتائب القسام تصريحاً مساء اليوم نفسه، حدّرت فيه الاحتلال من أنّ قصف بيوت المدنيين سيقلبه وضع "تل أبيب" من جديد في مرمى نيران المقاومة،²² لتشهد

بعده باقي أيام العدوان انخفاضاً في معدل استهداف المنازل المدنية، والأهم من ذلك أن أغلب المنازل التي تم استهدافها تأكد الاحتلال من أنها مخلاة من المدنيين، والجدول التالي يبين عدد المنازل التي دمرها الاحتلال قبل وبعد تهديد القسام بقصف "تل أبيب" حال قصف الاحتلال بيوت المدنيين:²³

التاريخ	عدد المنازل المدمرة
2021/5/17	113
2021/5/18	45
2021/5/19	39
2021/5/20	21

4. تكتيك الزخم الصاروخي* لإغراق أنظمة الدفاع الجوي

أعلن الاحتلال في مارس 2011 إدخاله منظومة "القبة الحديدية" إلى الخدمة العملية، وفي عام 2017 أعلن أنه طورها لتصبح قادرة على التصدي لقذائف الهاون، والطائرات المسيرة،²⁴ وعشية معركة "سيف القدس" امتلك جيش الاحتلال عشر بطاريات من منظومة القبة الحديدية، وقد زعم خلال الأيام الأولى من المعركة أنها حققت نسبة نجاح في اعتراض الصواريخ وصلت إلى 90%.²⁵ وبعيداً عن جدلية مدى نجاحها في الاعتراض، أظهرت المعركة استخدام المقاومة تكتيك الزخم الصاروخي لإغراق منظومة الدفاع الجوي لدى الاحتلال، وهذا التكتيك يتم تنفيذه عبر إطلاق رشقات صاروخية كبيرة في وقت زمني قصير؛ الأمر الذي يشوش عمل المنظومة الدفاعية ويسهل تجاوزها، وقد أظهرت المعطيات والصور أن هذا التكتيك نجح في تحقيق هدفه، وعلق عليه الباحث المشارك في المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية "IFRI" الدكتور جين بقوله: "أظهرت حرب غزة تحولاً جديداً، فقد زادت قدرات الجهات الفاعلة غير الحكومية في التغلب على الأنظمة الدفاعية. لقد أظهرت حماس والجهاد تصميمًا كبيراً على شن هجمات مكثفة بغرض تحقيق التشعب الجماعي لأنظمة الدفاع الجوي".²⁶ وبالإضافة إلى ذلك، يمكن من خلال تحليل بعض المعطيات التوصل إلى أن تكتيك الزخم الصاروخي حقق هدفين إضافيين، هما:

أ. إرهاب اقتصادي لميزانية الجيش: وفق معطيات الاحتلال، فإن 3000 صاروخ أُطلق من قطاع غزة خلال معركة "سيف القدس" ووصلت إلى داخل فلسطين المحتلة، منها 1500 صاروخ كانت متجهة إلى مناطق مفتوحة؛ أي أن القبة الحديدية لم تتعامل معها، وتعاملت مع 1500 صاروخ آخر كانت متجهة نحو أهداف مأهولة.²⁷ تتطلب عملية الاعتراض إطلاق أكثر من صاروخ من صواريخ القبة المسماة "تامير"، وبالحد الأدنى صاروخين؛ أي أن القبة الحديدية -وفق معطيات الاحتلال- أطلقت 3000 صاروخ اعتراض، تكلفة كل صاروخ تتراوح ما بين 50-70 ألف دولار،²⁸ وبذلك تكون تكلفة اعتراض الصواريخ بلغت 150-210 مليون دولار.

ب. الزخم الصاروخي حرب نفسية بسلاح الاحتلال: سعت المقاومة من خلال استهداف مراكز المدن المحتلة للضغط على الجبهة الداخلية للاحتلال، الأمر الذي كان له تداعيات على اتخاذ القرار أثناء المواجهة، ولعرفة حجم الضغط الذي أحدثته المقاومة من خلال عمليات القصف الصاروخي المكثف يمكن تحليل إحدى الضربات الصاروخية الأكبر، التي وجهتها المقاومة نحو "تل أبيب"، حيث ظهرت المعطيات كالآتي: قصفت المقاومة "تل أبيب" مساء اليوم الثاني من المعركة 2021/5/11 بـ130 صاروخاً، لكن "تل أبيب" وضواحيها لم تتعرض خلال الدقائق الخمس التي استغرقتها الرشقة لانفجارات صواريخ المقاومة فقط، بل أضيف إليها انفجارات صواريخ القبة الحديدية، فإذا كان الحد الأدنى من صواريخ القبة الحديدية التي تخرج لاعتراض الصاروخ الواحد هو صاروخي "تامير"، فإن القبة الحديدية أطلقت 260 صاروخاً، وبإضافة 130 صاروخاً أطلقتها المقاومة يكون 390 انفجاراً في "تل أبيب" خلال خمس دقائق، ما بين صواريخ تنفجر في السماء وأخرى تسقط وتصيب أهدافها، وتسبب بإصابات وأضرار، كل ذلك كان واقعاً جديداً يضرب "تل أبيب" لأول مرة، وهو واقع شديد على مدينة رأس مالها مرتبط بالشعور بالأمن؛ وهو ما يعني نجاح المقاومة في ضرب الهدف الأساسي الذي أنشأ الاحتلال من أجله منظومة الدفاع الجوي، ألا وهو "إشعار السكان بالأمن". علاوة على ذلك، تجدر الإشارة إلى أن نظام القبة الحديدية يعمل على اعتراض الصواريخ فوق المنطقة المهددة، وهذا يعني أن مخلفات عمليات الاعتراض سواء الناجح أو الفاشل تسقط جميعها فوق المنطقة المستهدفة، وإذا ما أسقطنا هذا المعطى على الضربة الصاروخية الكبيرة التي تعرضت لها "تل أبيب"، فإن ذلك يعني سقوط أطنان من الحديد المشتعل على المدينة خلال دقائق معدودة.

5. تقديم الإسناد الناري للأسلحة الأخرى

عمل سلاح المدفعية في المقاومة الفلسطينية خلال معركة "سيف القدس" على تقديم الدعم الناري للأسلحة الأخرى، وهو تكتيك عسكري يهدف إلى تحقيق تأثيرات متبادلة تكميلية، وقد كان من صور الجمع بينها، تقديم سلاح المدفعية الدعم الناري لوحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدروع، حيث قصفت وحدات المدفعية بقذائف الهاون محيط الأهداف التي نجحت وحدات مضاد الدروع في استهدافها؛ في مسعى لقطع النجدة عن الآليات المستهدفة، وتحقيق أقصى ضرر ممكن لقوات جيش الاحتلال.

6. تكتيك استهداف الأهداف ذات القيمة المعنوية والاقتصادية

ركّزت المقاومة خلال المعركة على قصف الأهداف ذات القيمة المعنوية والاقتصادية، في مسعى لزيادة الضغط على الجبهة الداخلية للاحتلال ومكوناتها؛ للتأثير على صانعي القرار، وفق النحو التالي:

أ. استهداف مستوطنات الاحتلال في القدس المحتلة: كان عنوان المعركة "الدفاع عن القدس والمسجد الأقصى"، ومثل إطلاق الصواريخ الأولى تجاه مستوطنات القدس إعلاناً عن عنوان يُجمع الفلسطينيون

والمسلمون على الدفاع عنه؛ الأمر الذي كان له دور في تحفيز الجماهير في مختلف الساحات على الالتحام في معركة الدفاع عن المدينة المقدسة.

ب. **وضع "تل أبيب" في مرمى النيران المكثفة:** تعتبر "تل أبيب" مركز القرار لدى الاحتلال، والمدينة التي يوجد فيها الثقل السكاني الأكبر، والنقل الاقتصادي والحيوي، فهي مركز للمؤسسات المالية والشركات التكنولوجية والبنوك الدولية وشركات إدارة الأصول، وهي بذلك مكان تجمع الأثرياء والمؤثرين، بما لهم من سطوة وارتباط بمجتمعات صنع القرار، وإن صورتها وهي تتعرض لهذا القصف المكثف مليئة بدلالات القوة، والانتصار المعنوي للمقاومة، في مقابل دلالات الفشل والهزيمة لجيش الاحتلال، هذه الصورة دفعت الصحف العالمية لنشر عناوين صاخبة عن الرعب الذي سببته صواريخ المقاومة للمستوطنين، فعلى سبيل المثال عنونت صحيفة "نيويورك تايمز" تغطيتها بالقول "تل أبيب مركز إسرائيل المالي الصاحب يهتز مع تساقط الصواريخ".²⁹ أما موقع فرانس 24 باللغة الإنجليزية، فقد جاء عنوان تغطيته: "الصواريخ والخوف يتساقطان على تل أبيب".³⁰

ت. **استهداف حقل الغاز في البحر المتوسط:** في اليوم الثالث من المعركة، أعلنت شركة "شيفرون" الأمريكية للطاقة لإغلاق منصة "نمار" للغاز الطبيعي في عرض البحر المتوسط مقابل سواحل فلسطين المحتلة، في قرار جاء عقب إطلاق كتائب القسام رشقة صاروخية وطائرات مسيرة انتحارية تجاه منصات الغاز التابعة للشركة في عرض البحر؛ الأمر الذي كبد الاحتلال خسائر اقتصادية كبيرة قدرها مختصون بـ 5 ملايين دولار يومياً.³¹

ث. **استهداف خط أنابيب نقل النفط:** نجحت المقاومة خلال المعركة في استهداف منشآت نفطية تابعة لشركة "خط أنابيب آسيا-أوروبا" "كاتسا"، الذي يشمل خط نقل النفط من إيلات إلى عسقلان، حيث أعلنت كتائب القسام عن قصف حقل صهاريج تستعمل لتخزين الوقود المنقول عبر خط أنابيب إيلات-عسقلان بالصواريخ في 11 مايو 2021، ثم عاودت قصفه في ساعات الفجر الأولى من اليوم التالي؛ ما أدى إلى اشتعال النيران في أماكن تخزين الوقود، وقد حمل استهداف الخط بُعداً سياسياً أيضاً، فبعد أيام قليلة من توقيع الإمارات على اتفاق التطبيع مع الاحتلال وقّعت على اتفاق مبدئي لنقل النفط الخام والمنتجات النفطية إلى الأسواق الأوروبية، من خلال خط النقل إيلات-عسقلان، وهو الخط البديل للنقل عبر قناة السويس، أو خط أنابيب "سوميد" المصري،³² وتسبب الاستهداف في عزوف المستثمرين عن تمويل مثل هذه المشروعات لعدم استقرار البيئة الأمنية.

ج. **استهداف الأهداف العسكرية والموانئ والمطارات:** تعدّ الموانئ والمطارات أحد رموز سيادة الدول، ويعتبر استهدافها وإجبار الدولة على إغلاقها خلال العمليات العسكرية والمعارك دليلاً على عدم سيطرة الدولة على مجريات المعركة، وهو ما أتبعته المقاومة خلال المعركة عبر تركيز استهداف مطارات

الاحتلال وموانئه، ومن خلال مراجعة البلاغات العسكرية يُلاحظ تركيز المقاومة أيضاً على قصف الأهداف العسكرية، من ذلك إصدار كتائب القسام 180 بلاغاً عن مهمات عسكرية خلال المعركة، استهدفت 83 منها قواعد لـ "فرقة غزة" في جيش الاحتلال، ومطارات عسكرية.³³

ثانياً: وحدات الصواريخ المضادة للدروع

حرمت المقاومة جيش الاحتلال -خلال المعركة- من حرية الحركة على طول الحدود مع قطاع غزة، واستغلّت أيّ فرصة لضرب المركبات العسكرية التي تظهر في مدى الصواريخ الموجهة التي تمتلكها، حتى أنّها في استهداف الباص المصفح صباح يوم الخميس 2021/5/20، ضربت الباص في المدى الأبعد للصاروخ الموجه، في رماية صعبة جداً؛ كون الهدف يتواجد على مسافة بعيدة عن الرامي بلغت حوالي 5100م داخل قاعدة "زيكيم" العسكرية.³⁴ كما حرمت من خلال الصواريخ الموجهة الاحتلال من القدرة على تنفيذ المناورات الخداعية، وقد أشار الباحث في شؤون الحركات الإسلامية الصهيوني "جيا أفيعاد" في حوار مع الصحفي الصهيوني "أورثيل ليفي" إلى التهديد والديناميكية التي أظهرتها هذه التشكيلات بقوله: "رأينا كيف تعمل وحدات مضاد الدروع، كيف تقدم رداً سريعاً. المجموعات تمسّط الحدود، وفي اللحظة التي توجد فرصة تقتنصها مباشرة ولا تضيعها".³⁵ ورغم إغلاق جيش الاحتلال الطرق في غلاف غزة، ومنع الحركة على طول الحدود مع القطاع خلال المعركة، فإنّ المقاومة نجحت في تنفيذ ثلاث عمليات استهداف لمركبات عسكرية بالصواريخ الموجهة.³⁶

ثالثاً: سلاح الطيران المسير

أصبحت تكنولوجيا الطائرات بدون طيار معادلة قوة في حروب القرن الحادي والعشرين، فهي توفر ميزة اختراق أراضي الخصم، وضرب هدف محدد فيها، دون تكبد خسائر بشرية ومع تكلفة منخفضة نسبياً، ويرجع اهتمام المقاومة الفلسطينية بتطوير وتوظيف الطائرات بدون طيار في مواجهتها مع الاحتلال إلى الأسباب التالية:³⁷

1. يمكن استخدام الطائرات المسيرة في استهداف أهداف محددة؛ أي أنّها سلاح موجه دقيق.
 2. لإعطاء بطاريات الدفاع الجوي، من خلال إصابة عربات القيادة والتحكم، أو إدارات المنظومة.
 3. الصعوبة التي تواجهها أنظمة الدفاع الجوي في التصدي لها؛ لأنّها من الممكن أن تتخذ مسارات منخفضة ومنخفضة جداً قرب سطح الأرض، مما يصعب إمكانية إسقاطها.
- وقد أظهرت معركة "سيف القدس" أنّ المقاومة أولت سلاح الطائرات المسيرة أهمية كبيرة خلال السنوات الماضية، وظهر ذلك من خلال إعلان المقاومة إدخال نوعين من الطائرات المسيرة إلى ساحة المعركة، هما:

- أ. طائرة "شهاب" الانتحارية: التي استهدفت بها منصة الغاز قبالة شواطئ شمال قطاع غزة، وتحشّدت عسكرية على تخوم القطاع، ومصنع كيماويات داخل مستوطنة "نير عوز" شرق خان يونس.³⁸
- ب. طائرة "الزوارى": أعلنت كتائب القسام في يوم الاثنين، الموافق 2021/5/18، أنّ طائرة الزوارى المسيرة نفذت طلعات رصد واستطلاع لأهداف العدو، وعادت إلى قواعدنا سالمة.³⁹

رابعاً: الاستخبارات

أظهرت البيانات المفصّلة للعمليات العسكرية خلال معركة "سيف القدس" امتلاك المقاومة منظومة استخبارات فعّالة، أرفدت الميدان بينك أهداف مكّن التخصصات المتنوعة من توجيه ضربات دقيقة لمواقع الاحتلال العسكرية والأمنية، ونجحت في إنتاج أهداف جديدة، وتحديث دقيق لتحركات العدو وتحشّده؛ الأمر الذي مكّن المقاومة من:

1. استهداف مُركّز لأهداف محددة، وظهر ذلك في:

- استهداف منظومات المراقبة والتحسس الخاصة بالعدو، والمنتشرة على طول الحدود مع قطاع غزة، من خلال سلاح القنص الذي نجح بتدميرها وتحييدها منذ بداية المعركة.⁴⁰
- استهداف تحشّدت العدو ومرابض المدفعية، وبطاريات ورادارات القبة الحديدية، واستهداف مركبات العدو التي ظهرت في مدى الصواريخ الموجهة التي تمتلكها المقاومة.⁴¹

2. تقديم معلومات عن تحركات قوات العدو وتنظيمها وعديدها: خلال الطيران الحربي، وإيقاع أكبر عدد من الإصابات فيهم، وقد كشف برنامج "عوفدا" الذي بثته القناة 12 العبرية أنّ كتائب القسام نجحت في اكتشاف خطة الخداع التي عمل الجيش على تنفيذها قبيل بدء مهاجمة ما أسمته "مترو حماس"، من خلال اختراق الاتصالات الخاصة بالجيش، والتنصت على محادثة بين ضباط في جيش الاحتلال تحدّثوا عن خطة الخداع؛ وهو ما أفشل خطة "ضربة البرق" التي حُشدت لها طاقات وإمكانات على مدار سنوات، وأرادها قادة الاحتلال - كما قال "غادي أيزنكوت" رئيس أركان جيش الاحتلال السابق- أن تكون في مستوى عملية "موكيد" التي أفتتحت بها "حرب 1967" عندما هاجمت 185 طائرة المطارات المصرية والسورية.⁴²

خامساً: الإعلام العسكري

يعدّ الإعلام العسكري أحد أهم أسلحة الحرب الحديثة، فهو يؤدي مهاماً كبيرة قد يتوقف عليها سير المعارك، وهو النافذة التي من خلالها يحصل المواطنون على المعلومات التي تخصّ سير العمليات العسكرية، ويؤديّ كذلك دوراً مهماً في التعبئة والتوجيه، ويضطلع بدور مهم في مجابهة عمليات الاحتلال النفسية الموجهة للمقاتلين ولعموم الحاضنة الشعبية، كما أنّه أحد قنوات الحرب النفسية ضد العدو وجمهوره،

وقد كان لافتاً خلال معركة "سيف القدس" الحضور الكبير للإعلام العسكري، وجاءت رسالته الإعلامية لتحقيق الأهداف التالية:

1. حشد طاقات الشعب الفلسطيني في جميع أماكن تواجده للانخراط في معركة الدفاع عن المسجد الأقصى، وذلك من خلال:

- تصدير خطاب المقاومة باسم القائد العام محمد الضيف: شخصية القائد العام لكتائب القسام محمد الضيف شخصية جامعة لدى الفلسطينيين، فهو يحظى برمزية كبيرة لدى عموم الشعب الفلسطيني والأمتين العربية والإسلامية، وقد ظهر ذلك جلياً عبر هتاف الجماهير باسمه في مختلف الساحات، من المسجد الأقصى وكل فلسطين، مروراً بالأردن وحتى أفغانستان، وهو الرجل الذي لا يظهر اسمه، إلا عند الحديث عن القضايا الاستراتيجية. وقد كان لافتاً خلال المعركة تصدير بيانات القسام باسم القائد العام، وهو أمر له تأثير مباشر على الجماهير، التي هتفت باسمه في كل الميادين، وبذلك اجتمع في المعركة مركزية القضية وأهميتها وإجماع الكل الفلسطيني والعربي عليها، بالإضافة إلى رمزية من يمكن اعتباره قائد المعركة وأيقونتها، وهو من العوامل التي أسهمت في حشد الجميع ودفعهم للانخراط في المعركة.
- توجيه خطاب مباشر لجماهير مخصصة، وحضها على المشاركة في المعركة: في اليوم الثالث من المعركة وجّه "أبو عبدة" خطاباً خاصاً إلى فلسطينيي الداخل المحتل عام 1948، أكد فيه أنّ كتائب القسام معهم في معركتهم لكنس الاحتلال.⁴³ كما لم تخلُ بيانات القسام والسرايا وفصائل المقاومة من توجيه التحية للمرابطين في الأقصى وللمنتفضين في الضفة، وحثّهم على المقاومة بكل السبل والوسائل.⁴⁴

2. رفع الروح المعنوية لدى جمهور المقاومة، خاصة في غزة التي كانت تتعرض لقصف عنيف: تدور أجزاء مهمة من المعركة الحربية على وعي الجمهور عامة، وعلى وعي المقاتلين بشكل خاص، حيث استهدفت بعض الأعمال العسكرية للمقاومة تصليب المقاتلين وحاضنتهم الشعبية، وشحن عزمهم على الاستمرار في القتال وتحمل تبعات الحرب؛ لذلك اهتمت المقاومة بالخطاب التعبوي الصادق والجريء، الذي يهدف إلى تعزيز صلابة الجبهة الداخلية والمقاتلين على السواء، وجاء ذلك من خلال:

- الإعلان عن مفاجآت خلال المعركة: تنفّذ المقاومة مجمل أعمالها في مجال التصنيع العسكري وتطوير الأسلحة، وعمليات التدريب والارتقاء بأداء المقاتلين بعيداً عن الإعلام، وتبقي تفاصيل ذلك غائبة عن الجمهور؛ ليكون ميدان المواجهة ساحة الإحبار والإعلان، وهي رسالة من المقاومة أنّ المقدرات التي تُدفع، والجهود التي تُبذل تثمر إنجازات على أرض الواقع؛ فأصبح ظهور الناطق باسم كتائب القسام مرتبطاً في أذهان الجمهور بالإعلان عن إنجازات ميدانية، أو إنجازات تتعلق بتطوير أسلحة المقاومة، وهو ما كان حاضراً في معركة "سيف القدس"، من ذلك إعلان "أبو عبدة" عبر خطاب صوتي مباشر عن إدخال صاروخ "عياش 250" إلى الخدمة، وإطلاقه تجاه مطار "رامون"؛⁴⁵ وهو الأمر الذي يعني أنّ كل فلسطين الانتدابية باتت تحت نيران المقاومة الفلسطينية، وهو الإعلان الذي رفع الروح المعنوية بشكل

كبير، خاصة أنه جاء بعد الإعلان عن اغتيال قائد لواء غزة في كتائب القسام "باسم عيسى"، وثلة من مهندسيها، إلى جانب الإعلان عن إدخال نوعين جديدين من الطائرات المسيّرة، وكشف سرايا القدس خلال المعركة عن استخدامها لأول مرة صاروخي "القاسم" و"بدر3"⁴⁶.

• **توثيق المهمات العسكرية:** حرصت المقاومة على توثيق مهماتها العسكرية؛ لما في ذلك من تأكيد على مصداقيتها أمام تكتم الاحتلال، كما أنّ بثّ عمليات المقاومة يزيد من ثقة الجمهور بخطابها، ويسهم في رفع الروح المعنوية، وقد وثقت كاميرات المقاومة الرشقات الصاروخية المكثفة، وعمليات استهداف آليات الاحتلال بالصواريخ الموجهة داخل حدود الأراضي المحتلة عام 1948، وعمليات استهداف مصنع للكيمياويات داخل مستوطنة "نير عوز".

3. **التصدي للحرب النفسية التي يشنها الاحتلال:** كان الحضور الإعلامي المستمر للمقاومة خلال المعركة أهم أدواتها لمواجهة الحرب النفسية التي يشنها الاحتلال، فمن خلال ظهور الناطقين العسكريين باسم المقاومة، والإعلان الفوري عن المهمات العسكرية المختلفة، أغلقت المقاومة على الاحتلال المنافذ التي قد يتسلل منها للجمهور، وبالإضافة إلى ذلك يمكن الإشارة إلى عدة أمور يمكن أن تكون ضمن تصدي المقاومة للحرب النفسية التي يشنها الاحتلال، وهي:

• **توجيه ضربة صاروخية من نفس المنطقة التي تعرضت لهجوم جوي عنيف:** بعد منتصف ليل الجمعة 14 مايو 2021 تعرضت مدينة غزة ومدن شمال القطاع لقصف عنيف، استمر أكثر من نصف ساعة متواصلة، فيما عُرف بعد ذلك بـ"الحزام الناري" الذي هدف إلى اغتيال عناصر المقاومة الفلسطينية المرابطين في الأنفاق، وقد كان هذا القصف الأعنف الذي تعرض له القطاع ربما على مدار التاريخ، حيث شاركت 160 طائرة صهيونية في إلقاء أكثر من 450 قنبلة.⁴⁷ بالإضافة إلى الأثر المادي المباشر لغارات الاحتلال فإنّ القصف العنيف أصاب معنويات السكان، وأصاهم بالذعر والفرع، وقد ترك بيئة مناسبة للشائعات أنّ الاحتلال نجح في القضاء على قدرات المقاومة؛ لذلك يبدو أنّ المقاومة اختارت أن يكون قصفها الأول ردّاً على غارات الاحتلال من نفس المناطق التي تعرضت لكل هذه النيران، برسلة رسائل طمأنة لعموم السكان، أنّها ما زالت حاضرة في الميدان، وأنّ غارات الاحتلال لم تؤثر عليها، وقد سبق رد المقاومة تصريح للناطق باسم كتائب القسام أن غارات الاحتلال هدفها التخريب والتدمير، ودافعها العجز عن مواجهة المقاومة ولن تؤثر على قدراتها.⁴⁸

• **تفنيد دعاية الاحتلال في تدمير الأنفاق شمال قطاع غزة:** أعلن رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو أنّ جيشه دمرّ مئات الكيلومترات من أنفاق المقاومة، وقتل عشرات المقاومين، خلال عملية قصف مركز استهدفت شبكة الأنفاق شمال قطاع غزة، ولما كان الحيز الذي تحدث عنه نتياهو سرّياً ولا يمكن التأكّد من صدق كلامه، سارعت المقاومة لنشر توثيق لمقاتليها واستعداداتهم داخل الأنفاق؛ لتفنيد دعاية الاحتلال وتدحضها، وتتجاوز التأثير النفسي للإعلان على حاضنتها الشعبية.⁴⁹

4. تنفيذ حرب نفسية تستهدف جيش الاحتلال ومستوطنيه: إن أهم مميزات العمليات النفسية الناجحة والمؤثرة هي أن تكون صادقة، وليست مجرد تهديدات لا يمكن تطبيقها، فالرسائل التي لا يستطيع مُرسلها أن يترجمها لواقع على الأرض تفقد قيمتها، كما يفقد مرسلها مصداقيته، وتصبح دون جدوى، وقد تميزت الحرب النفسية التي وظيفتها المقاومة الفلسطينية خلال معركة سيف القدس بالصدق، ووصلت إلى درجة تنسيق عالية بين الخطاب الإعلامي والجهد الميداني، الذي كان أوضح صوره تزامن الإعلان عن قصف مطار رامون بصاروخ عيَّاش مع لحظة تنفيذ القصف الفعلي.⁵⁰ كما كان هذا التناغم واضحاً في إعلان رفع حظر التجوال عن "تل أبيب" لمدة ساعتين من الساعة العاشرة حتى الساعة الثانية عشر من مساء يوم الخامس عشر من مايو، والذي تم تصديره باسم القائد العام باسم القسام ليزيده أهمية وموثوقية، حيث قُصفت "تل أبيب" بمجرد انتهاء المهلة التي حددها الإعلان.⁵¹

المبحث الثالث: أبرز مميزات ونتائج الأداء العسكري للمقاومة خلال سيف القدس

أولاً: توحيد جبهة الشعب الفلسطيني

كانت معركة "سيف القدس" المواجهة الأولى منذ انتفاضة الأقصى الثانية عام 2000، التي يشترك فيها عموم الشعب الفلسطيني في غزة والضفة والداخل المحتل والشتات، هذه الوحدة التي تجسّدت في معركة محورها المدينة المقدسة، شكّلت مفاجأة للاحتلال الذي عمل جاهداً على مدى سنوات طويلة على تحقيق الفصل السياسي بين أماكن تواجد الشعب الفلسطيني. يقول ميخائيل ميلشتاين الرئيس السابق لقسم الساحة الفلسطينية في شعبة الاستخبارات بجيش الاحتلال: "لقد حققت حماس شرعية جماهيرية كبيرة في أوساط الفلسطينيين، حيث وصفت المواجهة أنّها معركة الدفاع عن القدس؛ مما مكّنها من النجاح في إثارة الضفة الغربية، ودون أن تقصد فقد أثارت المدن العربية داخل إسرائيل".⁵² كما ويقول "ديفيد هيرست": في مقال بعنوان "استراتيجيات تفوق إسرائيل لعقود تنهار بأيام": "إنه على مدار 11 يوماً جرت الوحدة في عروق الفلسطينيين من جديد"، وأضاف: "عندما أطلقت حماس الصواريخ ليس دفاعاً عن غزة وإنما دفاعاً عن الأقصى، فقد دفعت بالصراع إلى ما فوق الذروة، وأشعلت الثورة في صفوف الفلسطينيين في أراضى عام 1948، وفي الضفة الغربية، وكان من نتائج ذلك أن أوجدت الأحداث التي تتابعت فيما بعد جبهة فلسطينية عريضة، في ظاهرة لم تتحقق منذ عام 1948".⁵³

بالإضافة إلى ذلك فقد أسهمت المعركة بشكل، أو بآخر في تحرك جماهيري فلسطيني وعربي في لبنان والأردن، حيث وصلت الجماهير إلى الحدود مع فلسطين المحتلة انطلاقاً من لبنان والأردن، وكانت هذه التحركات عوامل ضغط على الاحتلال والأنظمة المرتبطة به. ويعتقد الباحث أنها كانت أحد الأسباب في الضغط السياسي الذي دفع باتجاه إنهاء المعركة في أسرع وقت ممكن، دل على ذلك

التحركات الدبلوماسية أثناء المعركة، وبعدها، حيث كان الملك عبد الله أول زعيم عربي يزور البيت الأبيض بعد تنصيب بايدن.⁵⁴

ثانياً: القيادة والسيطرة رغم كثافة النار

أظهرت المقاومة قدراً كبيراً من الضبط والسيطرة، بدا واضحاً من خلال تنفيذ الوحدات الميدانية للتهديدات والرسائل التي كان يطلقها المتحدث العسكري، التي جاءت في مجملها ضمن حالة إدارة المعركة. فقد أظهرت التصريحات العسكرية أن المهمات العسكرية كانت تنفذ وفقاً لتطورات المعركة، أي أن هناك حالة قيادية فاعلة، تدرس المعطيات اللحظية، وتتابع تطورات الحراك السياسي، وتعطي الأوامر الميدانية وفق قراءتها ومقارنتها الخاصة. وقد تحدث المستشرق والباحث في شؤون الحركات الإسلامية الصهيوني "جيا أفيعاد" عن قدرة المقاومة على القيادة والسيطرة قائلاً: "رغم كل الضربات التي تلقتها حركة حماس خلال 11 يوماً من أيام المعركة، إلا أنها أظهرت قدرة مدهشة على القيادة والسيطرة على قواها، وعلى كل ما يحدث في القطاع، وأبرز ملامح ذلك أن حماس أعلنت عن وقف إطلاق النار في تمام الساعة 2:00، والصور يخ توقيت بالضبط في هذه الساعة، مما يشير إلى سيطرة كاملة على ما يحدث رغم كل الضربات التي تعرضت لها، لقد كان الذراع العسكري لحماس يعمل مثل ماكنة مشحمة".⁵⁵ ولعل إعلان كتائب القسام تعليق ضربة صاروخية تغطي كل فلسطين المحتلة استجابة للوسطاء، وإبقائها على الطاولة جاهزة للتنفيذ، يشير إلى قدرة تنسيق وقيادة متقدمة في ظرف ميداني بالغ الصعوبة، ورغم أن الضربة لم تخرج حيز التنفيذ، إلا أن تأثيرها الميداني واضح؛ حيث ربط الناطق باسم كتائب القسام بين تنفيذ الضربة وسلوك جيش الاحتلال إلى وقت دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ.⁵⁶ كما أظهر تزامن الخطاب الإعلامي مع التنفيذ الميداني للمهام العسكرية المختلفة قدراً عالياً من التنسيق والسيطرة، ويدل على عدم الارتباك، ويوحى بقدر كبير من التحكم بمجريات الأحداث.

ثالثاً: التنسيق بين الفصائل

أظهرت معركة "سيف القدس" ارتفاع مستوى التنسيق بين فصائل المقاومة في قطاع غزة، بدا ذلك واضحاً من خلال مؤشرات عدة، أبرزها:

- التحذير الأخير الذي حدد وقت بداية المعركة كان بتوقيع الغرفة المشتركة لفصائل المقاومة.
- ضربة البداية كانت منسقة بين فصائل المقاومة، حيث أطلقت كتائب القسام الرشقة الأولى تجاه المستوطنات في مدينة القدس المحتلة، وفي الوقت نفسه استهدفت سرايا القدس حياً عسكرياً لجيش الاحتلال على حدود شمال قطاع غزة.
- اتفقت غرفة العمليات المشتركة على اسم موحد للمعركة، وهو الأمر الذي لم يتحقق خلال المعارك السابقة.

- إعلان فصائل المقاومة عن العديد من مهمات إطلاق الصواريخ بشكل مشترك.
- التزام جميع الفصائل بوقف إطلاق النار في الموعد المحدد.

رابعاً: الردع

يُعدّ الردع أحد مركبات نظرية الأمن القومي للاحتلال، ويُعرف الدكتور علاء فهمي الردع من حيث الدلالة أنّه منع الخصم من الإقدام على عمل ما، أو تبني سياسة معينة لا يرضيها الطرف الرادع وذلك بإشعاره أن المخاطر التي سيتعرض لها، أو التكاليف الواجب عليه دفعها ستكون أكبر من المنافع التي يمكن أن يحصل عليها من جراء إقدامه على ذلك العمل، أو تلك السياسة.⁵⁷ سعى الاحتلال من خلال عدوانه المستمر على غزة إلى تحقيق الردع، من خلال توجيه ضربات شديدة للمقاومة تجعلها تفكر كثيراً قبل إقدامها على مهاجمة الاحتلال، لكن مبادرة المقاومة إلى بدء المعركة تدل على أن محاولات الاحتلال المتكررة على فرض الردع سقطت، وأن المقاومة تمتلك من الجرأة والشجاعة والثقة بالنفس ما يمكنها من اتخاذ القرار ببدء المعركة.

كما حاول الاحتلال من خلال مسارعه لاستهداف الأبراج السكنية مع بدء المعركة إلى إعادة فرض الردع، حيث كان استهداف الأبراج السكنية الورقة الأخيرة التي استخدمها خلال عدوانه على القطاع عام 2014، وظن أنه يستطيع من خلال تصعيد عدوانه على القطاع وقصف الأبراج السكنية إخضاع المقاومة سريعاً، وإجبارها على المطالبة بوقف المعركة، لكنه تلقى الجواب برشقات كثيفة تجاه "تل أبيب" أجبرته على وقف قصف الأبراج السكنية، في محاولة لتفادي قصف "تل أبيب"، الذي كان من الواضح أن المقاومة ربطت قصفها باستهداف الاحتلال للأبراج والمنازل المدنية الأهلة بالسكان، حيث ظهر ذلك في بلاغات كتائب القسام التي أعلنت فيها عن قصف "تل أبيب".⁵⁸ ويمكن القول، إنّ المقاومة نجحت خلال المعركة في كسر محاولات الاحتلال فرض الردع عليها، بل إنّها تجاوزت ذلك من خلال تثبيت بعض قواعد الاشتباك؛ الأمر الذي يُعدّ إنجازاً كبيراً، لا سيما أن الجهة التي يفترض أن تحقق الردع هي الجهة الأكثر قوة والأكثر تسليحاً.

خامساً: القدرة على امتصاص الضربات

تعرض قطاع غزة خلال معركة "سيف القدس" لعدوان غير مسبوق، فقد أعلن جيش الاحتلال أنّه قصف خلال المعركة 1500 هدف⁵⁹ (عدد الغارات أعلى بكثير، فقد كان الاحتلال يقصف الهدف الواحد بعدد من الغارات)، وقد استخدم الاحتلال لأول مرة تكتيك قصف جديد عُرف باسم "الحزام الناري"، وهو قصف مكثف بعدد كبير من الطائرات بشكل متزامن على منطقة واحدة، يستهدف - وفق زعم الاحتلال - أنفاق المقاومة، وربما جاءت هذه الغارات الكثيفة والمتزامنة لتعويض نقص المعلومات

الدقيقة، فلو كان الاحتلال يمتلك معلومات دقيقة عن الأهداف التي يريد قصفها لما احتاج لإهدار مئات الأطنان من الذخيرة. ورغم حجم النار الهائل، واستشهاد عدد من قادة المقاومة ومهندسيها أمثال القادة باسم عيسى وحسام أبو هرييد والمهندس جمال الزبدة، إلا أن المقاومة استطاعت امتصاص الضربات، وحافظت على مستوى ثابت من النار، وعن ذلك قال "ميخائيل ميلشتاين" الذي عمل في السابق رئيساً للساحة الفلسطينية في شعبة الاستخبارات بجيش الاحتلال: "حماس تفاجأت من حجم الرد الإسرائيلي، إلا أنها لم تستسلم، ولم تتخنع، بل إنهم يشعرون بالفخر من النتائج الاستراتيجية التي نجحوا بتحقيقها".⁶⁰

سادساً: تطور منظومة الصواريخ لدى المقاومة

إن أهم الاستنتاجات من الأداء العسكري للمقاومة الفلسطينية خلال معركة سيف القدس، هو أن المقاومة نجحت في تطوير منظومتها الصاروخية، وقد شمل هذا التطوير عدة جوانب:

الأول: كميات الصواريخ: يشير معدل إطلاق الصواريخ المرتفع إلى أن المقاومة زادت من ترسانتها الصاروخية، فقد وصل معدل الإطلاق اليومي إلى حوالي 400 صاروخ في اليوم وهو أعلى بأربع مرات ونصف من معدل إطلاق الصواريخ خلال التصدي للعدوان الصهيوني على القطاع عام 2014، وإذا أخذنا بالحسبان أن الناطق العسكري للقسام صرّح خلال المعركة أن لدى المقاومة القدرة على الاستمرار في المعركة لمدة ستة أشهر متتالية.⁶¹ هذا يعني أن المقاومة بنت ترسانة من الصواريخ تمكنها من تحقيق استدامة وكثافة النيران.

الثاني: دقة الصواريخ: أظهرت معطيات تعامل الاحتلال مع استهداف المقاومة لبعض الأهداف المحددة أن صواريخ المقاومة الفلسطينية باتت أكثر دقة، ففي أعقاب قصف مطار بن غوريون أعلن الاحتلال عن إغلاقه، وهو الأمر الذي حدث بعد استهداف منصة الغاز ومطار رامون، رغم أن مطار رامون استُهدف بصاروخ واحد فقط، كما حققت صواريخ المقاومة إصابة مباشرة في حقل كاتسا في عسقلان، بالإضافة إلى ذلك أشار معدل طلبات التعويض المرتفعة التي قدمها المستوطنون إلى أن إصابات الصواريخ أصبحت أكثر دقة من ذي قبل؛ وهو الأمر الذي أشار إليه الصحفي الصهيوني شاي ليفي حيث كتب في موقع "ماكو": "يشير فحص نسبة الاعتراض في القبة الحديدية إلى أن حماس والجهاد نجحوا في تحسين دقة صواريخهم، فقد ذكرت مصادر في المنظومة الأمنية أنهم تنبهوا لتحسن في قدرات توجيه الصواريخ بعد استثمار المنظمات في هذا الأمر".⁶²

الثالث: تحقيق استدامة النيران: تشير قدرة المقاومة على تحقيق استدامة القصف الصاروخي طوال أيام المعركة وبمعدلات مرتفعة إلى نجاحها في بناء منظومة إطلاق متطورة، وإلى قدرتها على إخفاء هذه

المنظومة عن منظور طيران الاحتلال، حيث نجحت من خلال ذلك بإطلاق عدد كبير من الصواريخ، وفي أوقات متزامنة وعمديات وضعت كل المستوطنين في فلسطين المحتلة تحت تهديد الصواريخ.

الخاتمة

شكلت معركة "سيف القدس" ضربةً قاصمةً لجهود الاحتلال في تجزئة ساحات المواجهة، ونجحت في جمع الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية من جديد على هدف لا يختلف عليه أحد، متجاوزةً بذلك استراتيجيات دأب الاحتلال على ترسيخها، ولعلّ من أهم نتائج المعركة ما يتحدث عنه الاحتلال اليوم أنّ المقاومة في غزة بعد ترسيخها معادلة غزة-القدس، تسعى لفرض معادلات جديدة عنواها غزة-الأسرى، وغزة-جنين. إنّ ما أجزته معركة سيف القدس في مجال الوعي الجمعي يمكن معاينة آثاره في الضفة الغربية والداخل المحتل، فجنين بعد عام من معركة سيف القدس أصبحت معضلة تؤرق جيش الاحتلال، والداخل المحتل ما زال يعيش ارتدادات المعركة، من جانب محاولات الاحتلال كمي ووعي الفلسطينيين في الداخل من خلال الاعتقالات والعقاب المباشر، أو من خلال وضع الخطط والتدريب المكثف على التعامل مع هبّات يقودها الداخل المحتل يراها الاحتلال قادمة لا محالة.

وقد جاءت العمليات التي نفذها فلسطينيو الداخل أمثال الاستشهادي محمد أبو القيعان في بئر السبع (22 مارس 2022)،⁶³ والاستشهاديان أمن وإبراهيم اغبارية في الخضيرة (27 مارس 2022)،⁶⁴ تأكيداً على أنّ المعركة التي بدأت في "سيف القدس" مستمرة، وأنّ كل محاولات سلخ الداخل المحتل عن قضايا الوطنية باءت بالفشل. لقد كان الأداء العسكري للمقاومة الفلسطينية خلال المعركة ملهماً، حيث نجحت المقاومة في تسجيل نقاط، يمكنها أن تراكم عليها، وصولاً إلى تحقيق هدفها بالتحريير، كما أنّ صورة "تل أبيب" -مركز الثقل الاقتصادي والسياسي لدى الاحتلال- وهي تمترز على وقع قصف صاروخي مكثّف لم تشهده طوال تاريخها، تسبب بهزة أيضاً في الوعي الجمعي لكل من استسلم لفكرة بقاء الاحتلال.

الهوامش

- 1 عاموس بدلين، التعامل مع إعادة تأهيل القوات العسكرية لحماس (باللغة العبرية)، <https://bit.ly/3nb8ooH>، مركز دراسات الأمن القومي، تاريخ النشر 2014/9/10، تاريخ الاطلاع 2022/4/12.
- 2 فلسطين اليوم، محدث تل أبيب لأول مرة في تاريخها تقع في مرمى صواريخ سرايا القدس وكتائب القسام، <https://bit.ly/3WOTv4R>، تاريخ النشر 2012/11/15، تاريخ الاطلاع 2022/4/5.
- 3 مركز دراسات الأمن القومي، استراتيجية الجيش في ضوء الأمن القومي، (باللغة العبرية)، تاريخ النشر 2016/8، ص41.
- 4 قناة الجزيرة، برنامج ما خلفي أعظم: الصفقة والسلاح، <https://bit.ly/3LipNik>، <https://bit.ly/3wkDLDN>، تاريخ النشر 2020/9/13، تاريخ الاطلاع 2022/4/15.

- 5 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، فيديو بعنوان: كلمة الناطق باسم القسام «أبو عميدة» في ذكرى عملية الروم المتبدد، <https://bit.ly/3toYNGt>، تاريخ النشر 2020/6/25.
- 6 قناة الجزيرة: برنامج ما مخفي أعظم: قلب المعادلة، <https://bit.ly/3QyACzZ>، تاريخ النشر 2022/5/27، تاريخ الاطلاع 2022/6/5.
- 7 مركز الزيتونة للدراسات، نشرة فلسطين اليوم، العدد 5511، 2021/4/15، ص9.
- 8 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، تغريدات الناطق العسكري، <https://bit.ly/3Lm8E7D>، تاريخ النشر 2021/5/4، تاريخ الاطلاع 2022/3/30.
- 9 الموقع الإلكتروني لسرايا القدس، أبو حمزة: لسنا بمنأى عما يحصل في أي بقعة من فلسطين، <https://bit.ly/3AbfUQa>، تاريخ النشر 2021/5/6، تاريخ الاطلاع 2022/4/5.
- 10 المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، الاحتلال يستبيح المسجد الأقصى، 305 إصابة منها 7 خطيرة و 8 صحفيين وعدد من المسعفين، <https://bit.ly/3kfSXTI>، تاريخ النشر 2021/5/10، تاريخ الاطلاع 2022/3/28.
- 11 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، تغريدات الناطق العسكري.
- 12 قناة الجزيرة، في ذكرها الأولى كيف شكلت معركة "سيف القدس" نقطة تحول في المقاومة الفلسطينية؟، <https://bit.ly/3EOfUYk>، تاريخ النشر 2022/5/17، تاريخ الاطلاع 2022/6/5.
- 13 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، تغريدات الناطق العسكري.
- 14 المصدر السابق.
- 15 مركز الزيتونة للدراسات، ملف معلومات معركة سيف القدس وتدابيرها، مايو 2021، ص487.
- 16 قناة الجزيرة، برنامج ما مخفي أعظم: قلب المعادلة.
- 17 مركز الزيتونة للدراسات، ملف معلومات معركة سيف القدس، ص78.
- 18 قناة الجزيرة، برنامج ما مخفي أعظم: قلب المعادلة.
- 19 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، تغريدات الناطق العسكري.
- 20 المصدر السابق.
- 21 المصدر السابق.
- 22 المصدر السابق.
- 23 وزارة الأشغال العامة، ورقة معلومات رداً على استفسار الباحث، إبريل 2022.
- * الزعم الصاروخي: يُقصد به إطلاق عدد كبير من الصواريخ تجاه هدف واحد خلال وقت محدد؛ بهدف إغراق أنظمة الدفاع الجوي، والتقليل من فاعليتها.
- 24 موقع وزارة حرب الاحتلال، الحماية متعددة الطبقات (باللغة العربية)، <https://bit.ly/3EQgbch>، تاريخ الاطلاع 2022/3/28.
- 25 موقع جلوبس، القبة الحديدية اعترضت 90% من الصواريخ، إذا ما الخطأ الذي حدث (باللغة العربية)، <https://bit.ly/3KknIMS>، تاريخ النشر 2021/5/13، تاريخ الاطلاع 2022/3/28.
- 26 Samaan, Jean-Loup (2021) *The Military Lessons of the Gaza War of May 2021*, TRENDS Research and Advisory, <https://bit.ly/3vj0Qpw>, Accessed on 1/7/2021.
- 27 موقع ماكو، عملية حارس الأسوار، القبة الحديدية ما زالت تعترض، في غزة يطلقون أكثر (باللغة العربية)، <https://bit.ly/398PJPd>، تاريخ النشر 2021/5/21، تاريخ الزيارة 2022/4/5.
- 28 موقع صحيفة معاريف، سلبات القبة الحديدية: المنظومة الأمنية تدرس استئناف تطوير منظومة ليزر لاعتراض الصواريخ (باللغة العربية)، <https://bit.ly/3vkSype>، تاريخ النشر 2019/5/18، تاريخ الزيارة 2022/4/5.
- 29 Kershner, Isabel (2021) *Tel Aviv, Israel's Bustling Financial Hub, Is Shaken as Rockets Rain*, <https://nyti.ms/3ETnsNQ>, Accessed on 16/5/2021.
- 30 FRANCE 24: *Rockets and fear descend on Tel Aviv*, <https://bit.ly/3xVHRLv>, Accessed on 12/5/2021.
- 31 مركز الزيتونة للدراسات، ملف معلومات معركة سيف القدس، ص133.
- 32 عربي بوست، حط عسقلان-إيلات. قصة خزان الوقود الذي استهدفه المقاومة، وكيف يصب في صالح مصر؟، <https://bit.ly/3xXLYQI>، تاريخ النشر 2021/5/12، تاريخ الاطلاع 2022/4/3.
- 33 إحصاء الباحث للبلدات العسكرية لكتائب القسام، للاستزادة، الموقع الإلكتروني لكتائب القسام: الملفات الخاصة، ملف خاص معركة سيف القدس، <https://bit.ly/3N8AtjH>، تاريخ النشر 2021/5/13، تاريخ الاطلاع 2022/4/5.
- 34 قناة الجزيرة، برنامج ما مخفي أعظم: قلب المعادلة.
- 35 أورتل ليفي، انحيار عقيدة الفاشمات: "منحصر المعركة من وجهة نظر حماس" (باللغة العربية)، <https://bit.ly/3xXN6uo>، تاريخ النشر 2021/5/22، تاريخ الاطلاع 2022/4/10.

- 36 موقع يديعت أحرنوت، خوفًا من إطلاق صواريخ مضادة للدروع تجاه السيارات: الجيش أغلق طرقًا في غزوة (باللغة العربية)، <https://bit.ly/3MAF9vU>. تاريخ النشر 2021/5/10، تاريخ الاطلاع 2021/4/2.
- 37 مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، حروب الدرونز - تقرير اليمن، يونيو/حزيران 2019، <https://bit.ly/3No5TJy>، تاريخ النشر 2019/7/16، تاريخ الاطلاع 2022/4/2.
- 38 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، ملف خاص معركة سيف القدس. المصدر نفسه.
- 39 قناة الجزيرة: برنامج ما خفي أعظم: قلب المعادلة.
- 40 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، ملف خاص معركة سيف القدس.
- 42 إيلنا ديان، كشف عوفدا: الوثيقة السرية لعملية تدمير أنفاق حماس (باللغة العربية)، موقع القناة 12 العربية، <https://bit.ly/3k5O8Qa>، تاريخ النشر 2022/4/12، تاريخ الاطلاع 2022/4/15.
- 43 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، ملف خاص معركة سيف القدس. المصدر نفسه.
- 44 المصدر نفسه.
- 45 المصدر نفسه.
- 46 الموقع الإلكتروني لسرايا القدس: أبو حمزة: أدخلنا صاروخ "القاسم المطور" للخدمة، <https://bit.ly/3Gdsp1u>. تاريخ النشر 2021/5/15، إيلنا ديان، كشف عوفدا.
- 47 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، تغريدات الناطق العسكري.
- 49 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، ملف خاص معركة سيف القدس. المصدر نفسه.
- 50 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، تغريدات الناطق العسكري.
- 52 أورتل ليفي، أحمبار عقيدة الشفاهات.
- 53 مركز الزيتونة للدراسات، ملف معلومات معركة سيف القدس، ص 500.
- 54 قناة الجزيرة، خلال استقباله للملك عبد الله.. بايدن يجد دعمه لحل الدولتين ويتعهد بدعم الأردن، <https://bit.ly/3GcD6RC>، تاريخ النشر 2021/7/20، تاريخ الاطلاع 2022/6/4.
- 55 أورتل ليفي، أحمبار عقيدة الشفاهات.
- 56 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، ملف خاص معركة سيف القدس.
- 57 حسن الرشدي، استراتيجية الردع... ممارسة القوة بأدوات أخرى، موقع جملة البيان، <https://bit.ly/386v12A>، تاريخ النشر 2019/7/21، تاريخ الاطلاع 2022/4/15.
- 58 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، تغريدات الناطق العسكري.
- 59 مركز مائير عاميت، أحداث التصعيد - "حارس الأسوار" - ملخص (باللغة العربية)، <https://bit.ly/3OKYZc6>، تاريخ النشر 2021/5/24، تاريخ الاطلاع 2022/4/20.
- 60 أورتل ليفي، أحمبار عقيدة الشفاهات.
- 61 الموقع الإلكتروني لكتائب القسام، تغريدات الناطق العسكري.
- 62 شاي ليفي، عملية حارس الأسوار: القبة الحديدية ما زالت تعترض، وفي غزة يطلقون أكثر (باللغة العربية)، موقع مako، <https://bit.ly/3wCQwXl>، تاريخ النشر 2021/5/21، تاريخ الاطلاع 2022/4/10.
- 63 وكالة الصحافة الفلسطينية صفا، هكذا نفذ الشهيد أبو القيعان عملياته في بئر السبع، <https://bit.ly/3X175Sw>، تاريخ النشر 2022/3/22، تاريخ الاطلاع 2022/4/2.
- 64 قناة الجزيرة، استشهاد منفذاه.. قتيلا من الشرطة الإسرائيلية في إطلاق نار جنوب حيفا، <https://bit.ly/3A7rTOW>، تاريخ النشر 2022/3/27، تاريخ الاطلاع 2022/4/6.